

الأكب

هو التحلى بأحسن صفات الكمال ، والتخلي عن الرذائل
والبعد عن النقائص ، بحيث يكون الإنسان في جميع أحواله
ومعاملاته في المجتمع الإنساني ، على مقتضى العقل الكامل والذوق
السليم ، فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ، ولا يقع منه ما يخل
بشرفه ، أو يحط من قدره فالأدب عنوان الكمال ، يرفع الوضع
إلى درجة الرفيع ، ويعلو بالسوقة إلى مرتبة الملوك ، ولهذا كان
حقاً على كل امرئ أن يتخلق به طبقاً لما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم

قال الله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما بُعثت لأتمم مكارم
الخلق) وقال عليه الصلاة والسلام (أصرني ربي بتسع ،
الإخلاص في السر والعلانية . والعدل في الغضب والرضا .
والقصد في الفقر والغنى . وأن أعفو عن ظمئني . وأصل من

قطعتني . وأعطى من حرمي . وأن يكون نطقى ذكرا . وصمقي
فكرا . ونظري عبرة) وقال عليه السلام (ليس منا من لم يُوقر
كبيرنا ويرحم صغيرنا . ويعرف لعالمنا حقه)

وقال علي كرم الله وجهه إن الله تعالى جمل مكارم الأخلاق
وحاسنها وصلابته وبينكم ، فحسب^(١) الرجل أن يتصل من الله
تعالى بخلق منها وقال غاية الأَدب أن يستحي الإنسان من نفسه
وقال خالد بن صفوان لابنه . يا بني الأَدب بهاء الملوك
ورياش^(٢) السوق^(٣) والناس بين هاتين فتعلمه تجدد نفسك
حيث تحب

وقال ابن المقفع . ما نحن إلى ما نتقوى به على حواسنا من
المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأَدب الذي هو لقاح^(٤) عقولنا
وقال بزرجهر . ليت شمري أي شيء أدرك من فاته الأَدب
وأى شيء فات من أدرك الأَدب . وقال لكسرى وعنده
أولاده . أي أولادك أحب إليك . قال أرغبهم في الأَدب .
وأجزعهم^(٥) من العار . وأنظرهم إلى الطبقة التي فوقهم
وحكى الأصمعي رحمه الله تعالى . أن أعرايا قال لابنه .

(١) كفاد . (٢) لباس فاخر . (٣) الرعية من الناس . (٤) سبب في نائها (٥) أخوفهم .

يأبى الأُدب دِعامَةً^(١) أَيْدُ اللَّهِ بِهَا الْأَلْبَابُ : وحلية زين الله بها
عواطل الأُحساب : فالماقل لا يستغنى وإن صصت غريزته^(٢)
عن الأُدب المخرج زهرته : كما لا تستغنى الأرض . وإن عذبت
تربتها^(٣) : عن الماء المخرج ثمرتها

وقال بعض الحكماء . الأُدب صورة العقل . فصور عقلك
كيف شئت : وقال آخر : إذا كان الرجل طاهر الأُثواب . كثير
الآداب . حسن المذهب تأدب بأدبه وصاح بصلاحه جميع أهله
وولده . وقال غيره . من كثر أدبه كثرت شرفه وإن كان قبل
وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا^(٤) وساد وإن كان غريبا :
وكثرت الحاجة إليه وإن كان مقترا^(٥) . وقال غيره : عليكم بالأُدب
فإنه صاحب في السفر : ومؤنس في الوحدة . وجمال في الحفل :
وسبب إلى قضاء الحاجة

وقال بعض الأُدباء : زِكُّ^(٦) قلبك بالأُدب كما تُزَكِّي النار
بالحطب . واتخذ الأُدب غنما . والحرص عليه حظا . يرتجيك راغب
ويخاف صَوْلَتِكَ^(٧) راهب . ويؤمل نفعك . ويرجى عدلك :

(١) عمادة (٢) طبيعته (٣) صلح ترايبها للزراعة (٤) ساقطا (٥) بخيلا (٦) نَمَّ
(٧) سطوتك

وقال آخر : شُبّه العالم الشريف العديم الأُدب بالبنيان الخراب :
الذى كلما علا سَمَكُهُ . كان أشد وحشة : وبالنهر اليابس ^(١) .
الذى كلما كان أعرض وأعَمَق كان أشد وعورة : وبالأرض الجيدة
المعطلة . التى كلما طال خرابها . ازداد نباتها غير المنتفع به التفافا .
وصار للهوام ^(٢) مسكنا

وقال بعض العلماء : العقل بلا أدب . كالشجر العاقر ^(٣) . ومع
الأدب كالشجر المثمر . وقال آخر . الأُدب وسيلة إلى كل فضيلة :
وذريعة إلى كل مكرمة

وقال بعض الفصحاء . المفضل بالعقل والأدب . لا بالأصل
والحسب . وقال غيره . من شاء أدبه ضاع حسبه . ومن قل عقله
جفل أصله . وقال غيره . الأُدب يسترقبىح النسب
وقال الشاعر

لكل شئ زينة في الورى وزينة المرء تمام الأُدب
قد يشرف المرء بأدابه فيناوإن كان وضع النسب

وقال آخر

فما خلق الله مثل العقول ولا اكتسب الناس مثل الأُدب

وما كرم المرء إلا التقى ولا حسب المرء إلا النسب
وقال غيره

ما وهب الله لامرئ هبةً أشرف من عقله ومن أدبه
ها حياة الفتي فإن عدما
وقال غيره

كن ابن من شئت واكتسب أدباً * يفنيك محموده عن النسب
إن الفتي من يقول هأنذا * ليس الفتي من يقول كان أبي

وهنا أذكر بعضاً مما ورد في الحث على تهذيب الأولاد منذ
نشأهم وغرس فضيلة الأدب فيهم . حتى يشبوا وقد انطبع في
قلوبهم حب الفضيلة . وبغض الرذيلة

قال عليه الصلاة والسلام (ما نحل^(١) والدٌ ولده نحلةً أفضل
من أدب حسن) وقال عليه الصلاة والسلام (حق الولد على والده
أن يحسن اسمه وأدبه وأن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية) وقال
(لأن يؤدب الرجل ولده خيرٌ من أن يتصدق بصاع)

وقال علي كرم الله وجهه . قلب الحدث كالأرض الخالية
ما ألقى فيها من شيء قبلته

وقال الإمام الغزالي . الولد أمانة عند والديه . وقلبه الطاهر
 جوهرة نفيسة ساذجة ^(١) خالية من كل نقش وصورة . وهو
 قابل لكل ما ينقش عليه . ومائل إلى عمل ما يميل إليه . فإن عوداه
 الخير وعلمه وعمله نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة
 وقال الإمام الماوردي . إن التأديب اللازم للأب أن يأخذ
 ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ ^(٢) عليها . فيسهل عليه
 قبولها عند الكبر . لاستئناسه بمبادئها في الصغر . لأن نشوء
 الصغير على الشيء يجعله متطبعا به . ومن أغفل في الصغر كان
 تأديبه في الكبر عسيرا

وأوصى عمرو بن عُتبة مؤدب ولده فقال ليكن أول
 إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك . فان عيونهم معقودة بعينيك .
 فالحسن عندهم ما فعلت . والقبيح ما تركت . علمهم كتاب الله .
 ولا يعلمهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه وروهم ^(٣) من
 الحديث أشرفه . ومن الشعر أعفّه ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى
 يحكموه ^(٤) . فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم . وعلمهم سنن
 الصالحاء . وجنبهم محادثة السفهاء وروهم سير الحكماء وتهدهم بي .

وأدبهم دوني. وكن كالطبيب الذي لا يمتثل بالدواء قبل معرفة الداء .
ولا تتوكل على عذر مني لك . فقد اتكأت على كفاية منك .

وأوصى الرشيد مؤدب ولده الأمين فقال . إن أمير المؤمنين
قد دفع إليك مهجة نفسه . وثمره قلبه فصياً يدك عليه ميسرة .
وطاعتك عليه واجبة أقرئه كتب الدين وعرفه الآثار . وروى
الأشعار . وعلمه السنن . وبصره مواقع الكلام . وامنع الضحك
إلا في أوقاته . ولا تمر بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده
إياها من غير أن تُخرقه ^(١) فتميت ذهنه . ولا تمنع ^(٢) في مسامحته
فيستعطي الفراغ ويألفه . وقومته ما استطعت بالرفق والملاينة .
فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة

وقال زيد بن علي . إن خير الآباء للابن أن لم يدعه الحنان ^(٣)
إلى التفريط ^(٤)

وقال بعض العلماء . ينبغي للوالد ألا يسهو عن تأديب ولده .
وذلك بأن يحسن عنده الحسن ويقبح في عينه القبيح : وليحثه على
مكارم الأخلاق وجميل الآداب وليحضه على تعلم العلم والآداب
ويذكره ^(٥) على ذلك : وقال غيره بادروا إلى تأديب الأطفال :

(١) تدهشه (٢) تبلغ (٣) الرحمة (٤) التقصير (٥) يتودد

قبل تراكم^(١) الأشغال : وتفرق البال

وقال صالح بن عبد القدوس

وإن من أدبته في الصبا * كالعود يُسقى الماء في غرسه
حتى تراء مورقاً ناضراً * بعد الذي أبصرت من يئسه

وقال الشاعر

عوذ بنيك على الآداب في الصغر * كما تقرأ^(٢) بهم عيناك في الكبر
فإنما مثل الآداب تجمعها

في عنقوان^(٣) الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرها^(٤) * ولا يخاف عليها حادث العبر
إن الأديب إذا زلت^(٥) به قدمه

يهوى على فرش الديباج^(٦) والسرور

وقال آخر

قد ينفع الأدب الأحداث في صغر * وليس ينفع بعد الشيبة الأدب
إن النصوص إذا قومتها اعتدلت * ولن تلين إذا قومتها الخشب

وقال غيره

ينشأ الصغير على ما كان والده * إن الأصول عليها ينبت الشجر

(١) تراحم (٢) تفرح (٣) مبدأ (٤) خيراتها (٥) عثرت {٦} الحرير

الحلم

هو ضبط النفس عند ثورة الغضب حال وجود ما يدعو إليه . وتملك عنانها حذر الاسترسال في هياجها . فيحدث ما لا تحمد عقباه . فكم جر الغضب من الأضرار على أناس مالم يملسكوا أنفسهم وكبحوا^(١) جماحها لاسلموا منه . وكانوا إلى السيادة التي حرصوا عليها بما فعلوا أقرب . وإن مما يدعو إلى طول الأسف ما نراه عند شباننا من الغضب في أدنى الأمور وأوهى الأسباب ولو علموا أن الحلم سيد الأخلاق . وأنه يكمل صاحبه بجميل الخصال . ويحجبه إلى الله تعالى . ويرفع قدره عند الناس لما عرفوا للغضب سبيلا ولا سلكوا له طريقا

قال الله تعالى (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)
وقال عز وجل (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ^(٢) وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب الحليم الحيَّ^٣ ويبغض الفاحش البذي^(٣)) وقال عليه الصلاة والسلام (ليس الشديد بالصرعة^(٤) . إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) وقال

{١} ردوا ثابتها {٢} المروء {٣} القبيح {٤} الذي يصرع غيره وينزله

عليه السلام (ألا أخبركم بمن يُحَرَّم على النار أو بمن يُحَرَّم عليه النار: يُحَرَّم على كل قريب هَيِّنَ لَيْسَ سَهْلًا) وقال (ابتغوا الرفعة عند الله . تحلم عمن جهل عليك . وتُعْطَى من حرمك) وقال (كاد الحليم أن يكون نبيا) وروى أن رجلا أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أوصني (قال لا تغضب فردّد مرارا قال لا تغضب) وقال على كرم الله وجهه . أول ما يُعوّض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لرجل أسممه كلاما . يا هذا لا تُغْرِقْ^(١) في سبِّنا ودَعْ للصالح مَوْضِعًا : فَإِنِ أَيْتَ مُشَاتِمَةً الرجال صغيرا . فَلَنْ أَجِئُهَا كَبِيرًا . وَإِنِ لَأَكْفَى مِنْ عَصَى اللَّهِ فِيَّ بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنْ أَطِيعَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ . وَشَتَمَ رَجُلٌ الشَّعْبِيَّ : فَقَالَ إِنْ كُنْتُ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لِي : وَإِنْ لَمْ أَكُنْ كَمَا قُلْتَ فَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ : وَاغْتَاظَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى خَادِمِهَا ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَتْ : اللَّهُ دَرُّ^(٢) التَّقْوَى مَا تَرَكْتُ لَذِي غِيْظٍ شَفَاءً وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : مَا عَادَانِي أَحَدٌ إِلَّا أَخَذْتُ فِي

(١) لا تبائع (٢) كلمة مدح

أمره بأحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى منى عرفت له قدره
 وإن كان دونى رفعت قدرى عنه . وإن كان نظيرى تنضات عليه
 وقال بعض الحكماء . احتمال السفية خير من التحلى بصورته
 والإغضاء^(١) عن الجاهل خير من مشاكلته . وقال آخر . إذا
 سكت^٢ عن الجاهل فقد أوسعته جوابا . وأوجمته عقابا . وقال
 غيره . فى إغضائك راحة أعضائك

وقال بعض الأدباء . من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة
 السلام . وقال آخر ما أفحش حلیم . ولا أوحش كريم
 وقال بعض البلغاء . ما ذب^(٢) عن الأعراض^(٣) كالصفح
 والإعراض^(٤) وقال آخر . ثلاثة لا يعرفون إلا فى ثلاثة مواطن .
 لا يعرف الجواد إلا فى العسرة . والشجاع إلا فى الحرب . والحليم
 إلا فى الغضب .

وكان الأحنف مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته
 ف قيل له ممن تعامت الحلم : فقال من قيس بن عاصم . كئنا نختلف^(٥)
 إليه فى الحلم كما نختلف إلى الفقهاء فى الفقه . ولقد حضرت عنده

(١) احتمال المذكور {٢} دفع (٣) جمع عرض وهو الشرف (٤) ترك العقوبة (٥) تتردد

يوماً وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاءوا به مكتوفاً. فقال ذعرتُم^(١)
أخي أطلقوه واحملوا إلى أم ولدي ديتَه فإنها ليست من قومنا
ثم أنشد

أقول للنفس تصبيرا وتمزيةً إحدى يدي أصابتني ولم تُردِ
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذو ولي

وقال الجعدي

ولا خير في حام إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يسكد رآ
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرآ

وقال صلاح الدين الصفدي

واستشمر^(٢) الحلم في كل الأمور ولا

تسرع ببادرة يوماً إلى رجل

وإن بليت بشخص لا خلاق له فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

وقال الشاعر

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفع عن سباب^(٣) الناس حملا وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب^(١) الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فأن يهابا
وقال آخر

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى
وفي الخرق^(٢) إغراء^(٣) فلاتك أخرقا
فتندم إذ لا ينفعنك ندامة^(٤) كماندم المغبون^(٥) لما تفرقا
وقال غيره

وللكف^(٥) عن شتم اللئيم تكرما أضر له من شتمه حين يشتم
وقال غيره

ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب
وقال غيره

ألا إن حلم المرء أكرم^(٦) نسبة^(٦) تسامى بها عند الفخار حلم
فيارب هب لي منك حلما فإنني أرى الحلم لم يندم عليه كريم

(١) الهيبة • الاجلال والمحافة (٢) الخلق (٣) خدعة وخطر {٤} المغلوب بالخدعة
(٥) الامتناع (٦) تبارى

الصدق

هو القول بما يطابق الحقيقة والواقع . من غير تبديل .
ولا زيادة أو نقصان . ولولاه لانتزعت ثقة الناس بعضهم من بعض
ولما وصل إليهم شيء من الحقائق في العلوم والأديان . وليس في
الأخلاق خلق أحسن بالإصلاح والنظام من الصدق . ولا أفسد
لهما من الكذب : فهو رأس الفضائل وأس المروءة . من تحلى به
كملت صفاته . وسمت أخلاقه . وتحققت معه آماله

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)
وقال تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
نَبِيًّا) وقال عز وجل (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ) وقال
جل شأنه (هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) وقال تعالى (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالصدق فإنه مع
البر . والبر يهdy إلى الجنة . وإياكم والكذب فإنه مع الفجور

والفجور يهدي إلى النار) ورُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:
 (عمل الجنة الصدق: وإذا صدق المبدّر. وإذا برّ آمن. وإذا آمن
 دخل الجنة. وعمل النار الكذب. وإذا كذب العبد ففجر. وإذا فجر
 دخل النار) وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (عليكم بالصدق
 فإنه بابٌ من أبواب الجنة. وإياكم والكذب فإنه بابٌ من أبواب
 النار) وقال (رحم الله امرأً أصلح من لسانه: وأقصر من عنانه^(١)
 وألزم طريق الحق مقوله^(٢) ولم يعوّد الخطأ^(٣) مفصله^(٤))
 (وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جباناً قال نعم. قيل
 أيكون بخيلاً قال نعم. قيل أيكون كذاباً قال لا)
 وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن يضعني الصدق
 وقلماً يفعل أحبُّ إليّ من أن يرفعني الكذب وقلماً يفعل
 وقال على كرم الله وجهه قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه
 الكاذب باحتياله

وقال ابن المقفع: لا تنهون بإرسال الكذبة من الهزل
 فإنها تُسرّع إلى إبطال الحق
 وقال علي بن عبيدة: الكذب شعار الخيانة. والصدق ربيع

(١) زمامه (٢) لسانه (٣) المنطق الفاسد المضطرب (٤) لسانه

القلب . وزكاة^(١) الخلقة . وثمره المروءة . وشعاع الضمير .
وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني إن الكذاب
يتمرض للمقاب من ربه . إن قال حقاً لم يُصدق . وإن أراد خيراً لم
يُوفق . فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على فضيخته بمقاله فما
صح من صدقه نسب إلى غيره . وما صح من كذب غيره نسب إليه
وقال أحد الفلاسفة . إياك وحكاية ما يستبعد . فيجد عدوك سبباً
إلى تكذيبك . فإن من صفات العاقل أن يحدث بما لا يستطيع تكذيبه
وقال بعض الحكماء . الخرس خير من الكذاب . وصدق
اللسان أول السمادة وقال آخر . الكذاب لص . لأن اللص يسرق
مالك والكذاب يسرق عقلك . وقال غيره . من عرف من نفسه
الكذب لم يُصدق الصادق فيما يقوله . وقال غيره : نزه سمعك
عن سماع الكذب كما تنزه لسانك عن التفوه به

وقال بعض الأدباء . الكذب جماع كل شر . وأصل كل ذم
لسوء عواقبه وخبت نتائجه : لأنه يُنتج النجاسة . والنجاسة تنتج
البغضاء . والبغضاء تؤول إلى العداوة . وليس مع العداوة أمن ولا

راحة. وقال آخر: الكذوب مُتَّهَمٌ وإن صدقت لهجته. ووضعت
 حجته. وقال غيره. لاسيف كالحق. ولا عون كالصدق
 وقال بعض البلغاء. الصادق مصون جليل. والكاذب مُهان
 ذليل وقال آخر. ليكن مرجعك إلى الحق. ومنزَعك^(١) إلى
 الصدق فالحق أقوى معين. والصدق أفضل قرين. وقال غيره إذا
 اتَّسم^(٢) المرء بالكذب نسبت إليه شوارد^(٣) الكذب المجهولة.
 وأضيفت إلى أكاذيبه زيادات مفتعلة^(٤). حتى يصير الكاذب مكذوبا
 عليه فيجمع بين معرفة^(٥) الكذب عنه ومضرة الكذب عليه
 وقال بعض الفضلاء الصدق منجيك وإن خِفَّتْهُ. والكذب
 مرديك^(٦) وإن أُمِنْتَهُ

وقال بعض العلماء. من صدق في مقاله. زاد في جماله. وقال
 آخر تحرَّوا^(٧) الصدق وإن رأيتُم فيه الهلكة فإن فيه النجاة. وتجنبوا
 الكذب وإن رأيتُم فيه النجاة فإن فيه الهلكة
 وقال الشاعر

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به * إن اللسان لما عوّدت معتاد
 موكلٌ يتقاضى ما سننت له * في الخير والشرف انظر كيف ترتاد^(٨)

(١) مرجعك (٢) عرف (٣) متزقات (٤) مختلفة (٥) اتهم {٦} مهلك {٧} توخوا {٨} تطالب

وقال آخر

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبي الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد
وقال غيره

عليك بالصدق في كل الأمور ولا
تكذب فأقبح ما يُزرى ^(١) بك الكذب

وقال غيره

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله * وأقبح الكذب عند الله والناس
وقال غيره

وما شيء إذا فكّرت فيه * بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه * وأبعد بالبهاء ^(٢) من الرجال

الحياء

هو الكف عن كل ما يستقبحه العقل . ويمجّه الذوق .
واستنكار كل ما لا يرضى به الخالق والمخلوق . خلق شريف يمنع المرء

عن فعل المحرمات والمنكرات . ويصونه عن الوقوع في الأوزار والآثام . فمن فقد الحياء فقد ذهب آدابه أدراج الرياح وأضحى منبوذا محروما من كل خير وفضل

قال الله تعالى (وَمَنْ تَزَكَّىٰ ^(١) فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء ^(٢) من الجفاء ^(٣) . والجفاء في النار) وقال عليه الصلاة والسلام (استحيوا من الله حق الحياء . من استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى . وليحفظ البطن وما حوى . وليذكر الموت والبلى ^(٤) . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا . فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء) وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الحياء والإيمان قرنا جميعا . فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) وقال عليه السلام (الإيمان بضع وستون شعبة . والحياء شعبة من الإيمان) وقال (الحياء لا يأتي إلا بخير) وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى .

(١) تطهر (٢) النحش (٣) الجفاء ضد البر (٤) الفناء

إذا لم تستح فاصنع ما شئت)

وقال كعب . استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من

الناس في علانيتكم

وقال حذيفة بن اليمان . لا خير فيمن لا يستحي من الناس

وقال بعض الحكماء . من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه

وقال آخر الحياء في الصبي . خير من الخوف . لأن الحياء يدل على

المقل . والخوف يدل على الجبن

وقال أحد الأدباء . ليكن استحياءك من نفسك أكثر من

استحيائك من غيرك . وقال آخر . من عمل في السر عملاً يستحي

منه في العلانية . فليس لنفسه عنده قدر

وقال بعض البلغاء . حياة الوجه بحيائه . كما أن حياة الغرس بثماره

وقال آخر أحمى حيائك بمجالسة من يستحي منه وقال غيره . اجعل

الحياء حُكماً على أفعالك

وقال أحد الفصحاء . سمة^(١) الخير الدعة^(٢) والحياء . وسمة الشر

الفحة^(٣) والبذاء . وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً .

وكفى بالفحة والبذاء أن يكونا إلى الشر سبيلاً

(١) علامة (٢) السكينة (٣) قلة الحياء

وقال آخر . القناعة دليل الأمانة والأمانة دليل الشكر . والشكر
دليل الزيادة . والزيادة دليل بقاء النعمة . والحياء دليل الخير كله
وقال أحد العقلاء . عليك بالحياء والأمانة^(١) فإنك إن استحييت
من الفضاحة^(٢) اجتنبت الخساسة^(٣) وإن أنفقت من الغلبة لم يتقدمك
أحد في مرتبة . وقيل لا وفاء لمن ليس له حياء

وقال الشاعر

إذا قل ماء الوجه قلّ حياؤه * ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياؤه فاحفظه عليك وإنما * يدل على فعل الكريم حياؤه

وقال آخر

إذا لم تخش عاقبة الليالي * ولم تسحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير * ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيى بخير * ويبقى العود ما بقي اللحاء^(٤)

وقال غيره

وحاجةٍ دون أخرى قد سنحت^(٥) بها

جعلتها لتي أخفيت عنواناً

(١) الاستفكاف (٢) كشف المساوى (٣) الدناءة (٤) قشر الشجر (٥) عرّضت
عنها ولم أصرح بها

وإني لأرى مَنْ لآحياء له * ولا أمانة وسط القوم غريانا
وقال غيره

وربّ قبيحةٍ ما حال بيني * وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن * إذا ذهب الحياء فلا دواء
وقال غيره

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالفاً
وتستحي مخلوقاً فاشئت فاصنع

التواضع

هو تجمل النفس بالخضوع ومنعها عن الترفع على الناس
والاستخفاف بهم . وجمالها على احترامهم مهما اختلفت درجاتهم
وتباينت مشاربهم . وعدم الكبر على أحد سواء في ذلك الوضع
والرفيع والصغير والكبير ليحافظ على منزلته في النفوس
ويأخذ مكاتته في القلوب . وهي خصلة محمودة تدعو إلى التواضع
والتعاون وتدل على طهارة النفس . وسلامة الذوق . فكم رفع
التواضع أقواماً فكانوا هم الألى فازوا برضائهم والفضل العظيم

وكم خفض الكبر آخرين فحل عليهم غضب الرحمن وباعوا
بالخسران المبين

قال الله تعالى (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)
وقال تعالى (وَلَا تُصَعِّرْ^(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرَحًا^(٢)). إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ^(٣) فَخُورٍ) وقال عز وجل
(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا^(٤)). وَإِذَا
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) وقال جل شأنه (تِلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ
تَوَاضَعُوا وَلَا يَمِغْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ) وروى قيس بن حازم أن رجلاً
أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصابته رعدة^(٥) فقال له صلى الله
عليه وسلم (هَوِّنْ^(٦) عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا بِنِ امْرَأَةٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ^(٧))
وقال عليه الصلاة والسلام (ما تواضع أحد لله إلا رفعه) وقال عليه

(١) لا تمل خدك تكبرا (٢) فرحاً وبطراً (٣) معجب بنفسه متكبر (٤) بسكينة ووقار
(٥) اضطراب وخوف (٦) خفف (٧) اللحم المقدد

السلام (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر) وقال
(اجتنبوا الكبر فإن العبد لا يزال يتكبر حتى يقول الله تعالى لللائكته
اكتبوا عبي هذا في الجبارين) وقال لعنه العباس (أنهلك عن
الشرك والكبر فإن الله يحتجب منهما)

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني إياك والكبر وليكن
ما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنت والذي إليه تصير
وقال سفيان . السفلة إذا تعلموا تكبروا : وإذا تمولوا ^(١)
استطالوا ^(٢) والكرام إذا تعلموا تواضعوا : وإذا افتقروا استطالوا
وقال ابن السماك : تواضعك في شرفك : أشرف لك من شرفك
وقال بعض الحكماء . من أظهر عيب نفسه فقد زكاها
فإذا قطع أسباب الكبر وحسم ^(٣) مواد العجب اعتاض بالكبرياء
تواضعا : وبالعجب توددا وذلك من أوكد أسباب الكرامة :
وأقوى مواد النعم . وأبلغ الشفعاء إلى القلوب يعطفها إلى المحبة .
ويثنيها ^(٤) عن البغض . وقال آخر . من نال منزلة فأبطرته . ^(٥)
دل على رداءة أصله وعُصْرَه . وقال غيره . من تكبر على الناس

(١) صاروا أصحاب أموال {٢} تكبروا (٣) قطع . {٤} يصرفها ويكفها

(٥) سفاهة نفسه

ذلّ . وقال غيره . عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . وليس إلى
 ما يكسبه الكبر من المقت حدّ . ولا إلى ما ينهي إليه العجب
 غاية . حتى إنه لم يظنّ من المحاسن ما انتشر . ويسأب من الفضائل
 ما اشتهر . وناهيك بسيئة تحبط ^(١) كل حسنة . وبمذمة تهدم كل
 فضيلة مع ما يثيره من خنق ^(٢) . ويكسبه من حقد . وقال غيره .
 من برئ من ثلاث نال ثلاثاً . من برئ من السرف . نال العز .
 ومن برئ من البخل نال الشرف : ومن برئ من الكبر
 نال الكرامة

وقال أحد الأديباء . من ولد في الفقر أبطره الغنى . ومن
 ولد في الفنى لم يزد إلا تواضعا
 وقال أحد العلماء . أجهل الناس من قل صوابه . وكثير إعجابه
 وأبغض الناس ذو عسر يخطر ^(٣) في رداء كبر . وقيل التواضع من
 أخلاق الكرام . والتكبر من أخلاق اللئام . وقيل تاج المرء التواضع
 وقال الشاعر

وأقبح شيء أن يرى المرء نفسه رفيها وعند العالمين وضيع
 تواضع تكن كالنجم لاح ^(٤) لناظر على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تلك كالسخان يعلو بنفسه^١ على طبقات الجو وهو وضع^٢
وقال آخر

اتضع للناس إن رمت الملا^٣ واكظم الغيظ ولا تبدا الضجر^٤
وقال غيره

إذا شئت أن تزداد قدرا ورفعة^٥
فلن تواضع واترك الكبر والمجبا^٦
وقال غيره

تواضع إذا مانلت رفعة^٧ فإن رفيع القوم من يتواضع^٨
وقال غيره
يامظهر الكبر إعجابا بصورته^٩

انظر خلاك فان الذنن تريب^(١)
لو فكر الناس فيما في بطونهم^(٢) ما استشعر الكبر شبان ولا شيب^(٣)
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة^(٤)

وهو بخمس من الأقدار مضروب^(٥)
أنف يسيل وأذن ريحها سهك^(٦)
والعين مرفضة^(٧) والثغر ملهوب^(٨)

(١) قبيح (٢) موصوف (٣) كريد (٤) ذات غمص {عمص} {٥} الغم يفزلعابا

يا بن التراب وما كُولَ التراب غداً
أقصر^(١) فانك ما كُولَ ومشروب

الصبر

هو تحمل النفس مكاره الحياه . وعدم الجزع لنوائب الدهر
ونكباته : وهو الدواء الشافي لمن ملك الحزن عليه نفسه . والبلى
المعافي لمن قبض الجزع على زمام عواطفه : بل هو عين الراحة :
وينبوع الفرح . ومبيد الهموم . ومزيل الغموم . ولا سبيل
إلى تشتيت معلق بالمرء من الأُحزان إلا التمسك به والتعلق
بأهدابه . فهو ركن حصين في محاربتها . وعماد قوم على دفعها
وناهيك بمظم ثواب الصابرين . وسوء عاقبة الجازعين

قال الله تعالى (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ) وقال تعالى (وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقال جل شأنه (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (وقال عز وجل (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وقال تعالى (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وقال تعالى (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَفْضَلُ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ وَالسَّامِحَةُ ^(١) وقال عليه الصلاة والسلام (الصبر سِتْرٌ مِنَ الْكَرُوبِ ^(٢) . وَعَوْنٌ عَلَى الْخُطُوبِ ^(٣)) ورُوي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قال الله تعالى إذا وجهتُ إلى عبدٍ من عبيدي مصيبةً في بدنه أو في ولده أو في ماله فاستقبلها بصبرٍ جميلٍ استجيتُ يومَ القيامة أن أنصبُ له ميزاناً أو أنشرَّ له ديواناً) وعنه أنه قال (النصر مع الصبر والفرج مع الكرب . وإن مع العسر يسراً) وقال عليه السلام (من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده وكتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقاً على الله أن يغفر له) وقال (من أعطى فشكر . ومُنِعَ فصبر وظلم فغفر . وظلم فاستغفر . فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

وقال على كرم الله وجهه للأشعث بن قيس . إن صبرت
جرت عليك القلم وأنت مأجور . وإن جزعت جرت عليك القلم
وأنت مأزور^(١) وقال الصبر مطية لا تكبو^(٢) . والقناعة سيف
لا ينبو^(٣)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أفضل المدّة الصبر
على الشدة

وقال ابن مبارك . المصيبة واحدة . فإذا جزع صاحبها فها
اثنان . لأن إحداهما المصيبة بعينها . والثانية ذهاب أجره . وهو
أعظم من المصيبة

وقال أكرم بن صيفي . من صبر ظفر
وحكى كعب الأخبار أنه مكتوب في التوراة . من أصابته
مصيبة فشكا إلى الناس فإنما يشكو ربه

وحكى أن أعرابية دخلت من البادية . فسمعت صراخا
في دار فقالت ما هذا . فقيل لها مات لهم إنسان فقالت . ما أراهم إلا
من ربهم يستغيثون . وبقضائه يتبرمون^(٤) وعن ثوابه يرغبون
وقال بعض الحكماء . من أحب البقاء فليعدّ للمصائب قلبا

(١) الوزر الاثم (٢) لا تسقط (٣) لا يفيل (٤) يضجرون

صبورا . وقال آخر . بالصبر على مواقع الكره تُدرك الحظوظ
وقال أحد الصالحاء . اصبر لحكم من لا تجد معولا إلا
عليه ولا مفزعا ^(١) إلا إليه

وقال عثمان بن عفان

خليلى لا والله مامن مامة ^(٢) * تدوم على حى وإن هى جئت ^(٣)
فإن نزلت بوما فلا تخضعن لها * ولا تكثرا الشكوى إذا النمل زلت
فكم من كريم قد بلى بنوائب * فصابرها حتى مضت واضمحلت
وكم غمرة ^(٤) هاجت بأمواج غمرة * تلقيتها بالصبر حتى تجلت ^(٥)
وكانت على الأيام نفسى عزيزة * فاما رأيت صبرى على الذل ذلت
فقلت لها يانفس موتى كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وقال إبراهيم بن العباس

وَأَرُبُّ نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا ^(٦) وعند الله منها المخرج
ضاقت فاما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان بطنه لا تفرج

وقال محمد بن بشير الخارجي

إن الأمور إذا سدت مسالكها ^(٧) * فالصبر يفتح منها كل ما ارتجبا ^(٨)

(١) مارجأ (٢) مصيبة (٣) عظمت (٤) شدة (٥) انكشنت (٦) لم يطلقها ولم يقو
(٧) طرقها (٨) أغلق

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهَا * إِذَا اسْتَعْنَيْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ
وَمَدَّ مِنْ ^(١) الْقَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلْبِجَا ^(٢)

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِي
صَبْرًا عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا * مَخْلُوقَةٌ لِنَكَايَةِ ^(٣) الْأَحْوَارِ
لَا يُكْسِفُ النُّجُومَ الضَّعِيفَ وَإِنَّمَا * يَسْرِي الْكَسُوفُ لِرَفْعَةِ الْأَقْمَارِ
وَقَالَ الشَّاعِرُ

اصْبِرْ فَفِي الصَّبْرِ خَيْرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ
لَكُنْتَ بَارَكْتَ شُكْرًا صَاحِبَ النِّعَمِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَصْطَبِرْ كَرَمًا * صَبَرْتَ قَهْرًا عَلَى مَا خُطَّ بِالْقَلَمِ
وَقَالَ آخِرُ
عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدِمْنَيْتَ ^(٤) بِهِ

فَالصَّبْرُ يُذْهِبُ مَا فِي الصَّدْرِ مِنْ حَرْجٍ ^(٥)
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مَظْلَمَةٍ * قَدْ ضَاءَ مِنْ بَعْدِهَا صَبِيحٌ مِنَ الْفَرْجِ
تَصَبَّرْ فَفِي اللَّأْوَاءِ ^(٦) قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ
وَقَالَ غَيْرُهُ
وَلَوْلَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يُعْرِفِ الْحُرُّ

(١) المداوم (٢) يدخل (٣) القهر (٤) ابتليت (٥) ضيق (٦) الشدة والمحنة

وإن الذى أبلى هو المَوْنُ فاتتدب^(١)

جميل الرضا يبقى لك الذكر والأجر

وثق بالذى أعطى ولاتاك جازعا

فليس يحزم أن يروّك^(٢) الضر^(٣)

فلا نَقَمٌ تبقى ولا نَعَمٌ ولا * يدوم كلا الحالين عسر^(٤) ولا يسر^(٥)
وقال غيره

وإني لأغضى^(٦) مُقلتي على القذى

وألبس ثوب الصبر أبيضاً أبلجاً^(٧)

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ * على فما ينفك أن يتفر^(٨) جا
وكم من فتى ضاقت عليه وجوهه * أصاب لها في دعوة الله مخرجاً
وقال غيره

إذا بُليت فثق بالله وارض به * إن الذى يكشف البلوى هو الله
إذا قضى الله فاستسلم لقدرة * ما لأمري حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تياسن فإن الصانع الله

(١) انتدب دعا (٢) يفزعك ويخوفك (٣) السوء (٤) أطبق عيني (٥) مشرقاً مضيقاً

{٦} ينكشف